

مفاهيم القرآن

(61) الثاني: إنَّ الملوكية التي اتَّصف بها الأنبياء; كانت معطاة من الله سبحانه، لا أنَّهم اكتسبوها بالقوَّة والقهر كما هو شأن ملوك الأرض. ولو كانت الملوكية مجردةً عن دينك الأمرين; لأدَّى إلى الفساد، والتفرعن كما يشهد به التاريخ. وأقصى ما يمكن أن يقال حول توصيف الله سبحانه لبعض الأنبياء الصالحين بالملوكيَّة: أنَّ التاريخ وإن كان يشهد على أنَّ الملوكيَّة وإن كانت مقرونة بالاستكبار والتفرعن والفساد، غير أنَّه لم يكن يتبادر من تلك الكلمة – في عصر نزول القرآن – ما يتبادر في العصور المتأخِّرة عن نزوله وبالأخصَّ في هذه الأعصار الأخيرة. ولأجل ذلك وصف الله سبحانه طالوت بالملوكيَّة (بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) ومنَّ على بني اسرائيل بأن جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكًا، قال سبحانه: (اذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِیْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) (المائدة: 20). كما وصف آل ابراهيم بقوله: (فَقَدَّ عَاتِيذًا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَّابَ وَالْحَكَمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلُوكًا عَظِيمًا) (النساء: 54). إلى أن عاد سبحانه ينقل عن داود بأنَّه طلب من الله سبحانه أن يهب له ملكًا، قال تعالى: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزِلْ غَيِّ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) (ص: 35). إنَّ الملكيَّة بكلِّ أنواعها; مرفوضة في نظر الإسلام وخاصةً الوراثيَّة منها، لما في ذلك من الفساد وضياع الحق والعدل. كما أثبتته التجارب التاريخيَّة في حياة البشريَّة. يقول المؤرِّخ المعروف ابن خلدون في مقدِّمته في الفصل الحادي والعشرين تحت عنوان (فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه) : (إذا استقر الملك في نصاب معيَّن ومنبت واحد من القبيل القائمين بالدولة وانفردوا به، ودفعوا سائر القبيل عنه، وتداوله بنوهم واحداً بعد واحد، بحسب الترشيح، فربَّما حدث التغلُّب على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم، وسببه في الأكثر ولاية صبيّ